شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ ٠ في الحرية والقمع ...

نفهم ، ويفهم القراء ، ان تمنع مجلة « الآداب » دائما من دخول المملكة العربية السعودية ...

ونفهم ، ويفهم القراء ، ان تمنع المجلة احيانا من دخول المملكة الاردنية الهاشمية ...

ولكننا لا نفهم اطلاقا ، ونعتقد ان القراء لا يفهمون كذلك ، ان تمنع المجلة احيانا من دخول جمهورية مصر العربية او الجمهورية العربية الليبية !

غير ان هذا هو ما يحدث من سنتين تقريبا .

تأتينا بين شهر وشهر رسالة من الشركة العربية للتوزيع تخبرنا فيها ، وهي على أسف ، ان العدد قد منع في بنغازي او في القاهرة ، وليس ذلك فحسب ، بل هو قد صودر ايضا ... ولسنا ندري اذا كان هذا المصادر قد أتلف او أحرق !

ثم اننا لا نعرف قط سبب منع العدد او مصادرته ، ونذهب في التكهنات شتى المذاهب ... وغالبا ما يمتنع المسؤولون عن ايضاح سبب المنع ...

وليست الخسارة المادية ، على أهميتها بالنسبة لمجلة تناضل منذ عشرين عاما للبقاء ، هي التي تؤلمنا ، فقد يكون بوسعنا ان نسد هذه الخسارة في ميادين اخرى نخوضها لكسب لقمتنا الشريفة ، وانما الذي يؤلمنا ان يكون هذا المنع سبيلا لتعطيل رسالتنا في أن تكون « الآداب » مرجعا رئيسيا لدراسة تطور الادب العربي الحديث ، ووثيقة لا غنى عنها للتعبير عن قضايا الانسان في المجتمع العربي الحالي ، المأزوم والمهزوم !

فاذا كتب شاعر قصيدة يعبر فيها عن مظهر من مظاهر الازمة التي يعيش فيها المواطن تجاه موقف من مواقف السلطة ، السياسية او الاجتماعية ، أفليس من واجب هذه المجلة ورسالتها ان تنشر هذه القصيدة اذا وجدتها مستوفية الشروط الفنية ؟ واذا جاءتنا قصة جيدة او دراسة جادة تحللان وضعا من الاوضاع لا يرضى عنه الشعب او يجد فيه مأخذا ، افلا تخون المجلة مهمتها ان هي أحجمت عن نشر هذه الدراسة او تلك القصة خوفا من المنع او المصادرة ؟

اننا لا نحتاج بعد الى التأكيد بأن الاديب ضمير الامة وصوتها الصادق ، وكل محاولة لارهابه او لقمع صوته او لخنق اوسيلة التي يبث بها هذا الصوت ، هي جريمة بحق الامة لا يعادلها الا اغتيال زعيم مخلص او قتل فدائي بطل !

من هنا يصدر احتجاجنا الدائم على كل اسلوب لقمع حرية الفكر ، ايا كانت الذرائع والحجج التي تلجأ اليها السلطة !

ونحن لا نستبعد ان يكون في مركز رقابة انتاج الاديب ، هنا أو هناك او هنالك ، من هم غير اكفاء في تقدير هذا النتاج ، او من يهلعون لأية كلمة جريئة ، فيؤثرون السلامة بتقديم توصية بالمنع او المصادرة ... ولكن التبعة تقع في آخر المطاف على الوزير المسؤول ، وليس على الرقيب الموظف ، القاصر او الخائف !

ولماذا يمنع الاديب من ان يقول كلمته ، اذا كان له على السلطة مأخذ ؟

أبحجة « المعركة » ؟ وأية معركة هذه التي لا يشارك فيها الاديب والمفكر بالتخطيط والتوجيه ، وحتى النقد والاحتجاج ؟

اية كلمة يستطيع الاديب الا يقولها بعد الخامس من حزيران ؟

اي رفض او احتجاج يمكنه ان يكبتهما بعد ؟

اننا ندعو الاديب العربي ، مرة اخرى ، الى مزيد من الجراة والصراحة في قول كلمته ، حتى ولو لم يصب ، حتى ولو أخطأ في الاجتهاد .. فان الضمانة في الا يقود خطاه الى خسارة معركة او حصول هزيمة هي ان هناك اديبا آخر يستطيع ان يناقشه او يناقضه او يسفّه رأيه

أن السلطات التعسفية لا تنقطع عن تنبيه الاديب الى واجباته في خدمة امته ومجتمعه ، ولكنها غالبا ما تنسى ان تؤمن له حقه الرئيسي الاول : وهو حرية فكره وقلمه .

اما نحن في « الآداب » ، فقد كنا ، وسنظل دائما مع الاديب الحر ضد السلطة ، حين تفترق درب الاديب عن درب السلطة .

وستظل رسالتنا ان نفتح صدر هذه المجلة لكل نتاج جريء صادق ، حتى لو منعت في معظم البلدان العربية !

٢ ٠ في النشر والتأليف

نشرت مجلة « صباح الخير » القاهرية ، في الشهر الماضي ، مقالا عن النشر والناشرين والمؤلفين والصحافة بين بيروت والقاهرة كتبه عبد الستار الطويلة .

ويؤسفني ان اقول ان في هذا المقال كثيرا من الافتراء والتجني والروح الاقليمية البغيضة .

ولا ريب في ان مصدر ذلك كله الانزلاق الى اعتبار النشاط الذي تقوم به بيروت ، على صعيد الثقافة ، والنشر منافسة او حتى تحديا للقاهرة .

فالحقيقة والواقع ان ليس ثمة تنافس ، بل هو تعاون وتكامل من اجل الثقافة العربية والمستقبل العربي .

من هنا كان ترحيب الصحافة اللبنانية ، ولا سيما الادبية بنتاج الادباء المصريين ، وترحيب دور النشر بالمؤلفين المصريين .

ومن هنا كان ترحيب الناشرين اللبنانيين بقيام عدة مؤسسات مصرية وسورية وعراقية للنشر في لبنان واعتزازهم بالتعاون معها . ونحن نشجب دائما ، في قلب اتحاد الناشرين اللبنانيين ، بعض النزعات التي تتذمر من ممارسة غير اللبنانيين لمهنة النشر في لبنان .

ذلك اننا ان كنا نؤمن حقا بالوحدة العربية ، فيجب الا ننسى ان اقوى اساس لهذه الوحدة هو الاساس الثقافي الذي ينبغي لجميع المؤسسات الثقافية ، ومنها مؤسسة النشر ، أن تشارك في بنائه وتدعيمه على قدم المساواة وبروح الالفة والتكاتف لا بروح المنافسة والحساسية الاقليمية .

ونحن من المؤمنين بدور مصر القيادي في الثقافة والنشر ، ولكننا من المؤمنين كذلك بان بامكاننا ان نعينها في هذا الدور ، وخاصة في هذه الظروف السياسية والاقتصادية التي تحد من امكانياتها . ونعرف ان معظم المثقفين المصريين يقدرون للبنان دوره في النشر ، ولا يشعرون بأي تعصب اقليمي حين يدفعون بانتاجهم الى الناشرين اللبنانيين ، لا سيما اولئك الذين يؤمنون ، على الصعيد القومي ، بان وحدة المصير العربي مرتبطة اوثق ارتباط بوحدة الفكر العربي .

ونحب هنا ان نناقش ، بهدوء ، وبروح من الرغبة في تصحيح الوقائع تنسجم مع ايماننا هذا — نحب ان نناقش بعض النقاط في مقال الاخ عبد الستار الطويلة .

ويؤسفنا ان نكون مضطرين احيانا الى ايراد بعض التصحيحات الخاصة بنا ، لان المعلومات المتصلة بها ستعطي فكرة مغلوطة ومؤذية اذا ظلت بلا تصحيح .

من ذلك مثلا بعض المبالغات الضخمة في عدد النسخ المطبوعة من بعض الكتب : فقد ذكر الكاتب ان الشاعر محمود درويش يطبع من ديوان له « عشرة الاف نسخة تنفد من السوق في الحال يعاد طبعه في اقل من شهرين »

ولما كان آخر ديوان لمحمود درويش « احبك او لا احبك » من منشورات دار الآداب ، فنحن نقول ان هذا الديوان قد طبع منه ثلاثة الاف نسخة فقط استغرق نفادها سنة ، ولم يطبع طبعة ثانية بعد . نقول هذا ونحن واثقون بان هذه الكمية رقم جيد جدا بالنسبة لمطلق كتاب ، فضلا عن ان هذا الديوان يستحق ان تطبع منه عشرات الالوف من النسخ اذا نظرنا الى قيمته الفنية واهميته في تطور الشاعر . ولكن التمني شيء ، والواقع شيء آخر ! ثم ان دار الآداب هي التي قدمت شاعرنا المبدع في ديوانه الاول « عاشق من فلسطين » الذي طبعته طبعتين منذ خمس سنوات تقريبا ، ولم يتجاوز مجموع هذه النسخ عشرة آلاف لم تنفد كلها بعد ...

ومبالغة اخرى ضخمة تكمن في كلامه عن نشر رواية « العرّاب » ، وقد ترجمها خطأ ب « الاشبين » ، حين زعم ان الناشر استحضر بضع نسخ من الكتاب في يومين ، ودفع بها الى ثلاثة من المترجمين .. كانوا يدفعون بالصفحة تلو الصفحة الى المطبعة ، حتى انتهى الناشر من ترجمة وطبع الكتاب طبعا فاخرا في عشرة ايام .. وعندما بدأ الفيلم كان الكتاب يباع حتى بيع منه في اربعة اسابيع ثلاثة عشر الف نسخة رغم ان ثمنه اكثر من جنيه ... وبعدها ظهر الكتاب بلغته الانكليزية الاصيلة ايضا لمن شاء من المثقفين ان يشتريه »

ولما كانت دار الآداب هي ناشرة الكتاب ، فبامكاننا ان نؤكد ان معظم هذا الكلام من نسج الخيال ! فالدار لم تستحضر بضع نسخ من الكتاب في يومين ، لان الكتاب كان في السوق بنصه الانكليزي وترجمته الفرنسية منذ اكثر من سنة ونصف ، وكنا قرأناه منذ اشهر عديدة ، فقررنا ان نترجمه لروعته كرواية تفضح فساد المجتمع الاميركي ، ثم صرفتنا عن ذلك شواغل ، الى ان علمنا ان الفيلم سيصل الى بيروت ، فشرعنا شخصيا بترجمة الرواية ، واستغرق ذلك منا زهاء شهرين كان عرض الفيلم قد بدأ في الثاني منهما .. وها قد انقضت على صدور الترجمة ثلاثة اشهر او تزيد ، وكان كل ما بيع منها لا يتجاوز الفا وخمسمئة نسخة ! فمن اين استقى صاحبنا كل هذه المعلومات المغلوطة ؟!

لا شك في انه اخترع هذا كله ليبرر ادعاءاته المؤذية عما سماه « بدولة الناشرين » وعن ان منهم « اصحاب ملايين » يحشرني بينهم لمجرد اني مشارك في اقامة «مجمع للناشرين على شكل ناطحة سحاب تكاليفها مليونا ليرة تقريبا » .

وحقيقة مجمع الناشرين هذا ان بعض الناشرين عندنا رأوا ان يتجمعوا في مكان لائق واحد وان يتيحوا الفرصة امام سائر زملائهم ان ينضموا اليهم عند اقامة المجمع او بعد اقامته ، بحيث يشترون او يستأجرون مكاتب لهم في هذا البناء الذي لا يمكن وصفه بأنه ناطحة سحاب ، لانه مؤلف من ثمانية طوابق ، وهو مستوى اي بناء عادي حديث في بيروت . ويعرف الناشرون جميعا في لبنان اني شخصيا متهيب وخائف من تكاليف هذا

المشروع ، واني اضطررت الى اقتراض زهاء نصف نصيبي من ثمن العقار الذي سيقام عليه البناء بفائدة مصرفية عالية .. وان امامي بعد مراحل طويلة لا بد لتنفيذها من ان يرهقني ويثقل كاهلي بالاعباء والديون ... فهل يمكن ان يوصف من كان هذا وضعه المالي بأنه من اصحاب الملايين ، لا حشرنا الله في زمرتهم ؟

اقول هذا لان الكاتب اورد بعد ذلك تعليقه السيىء النية الذي يقول « ويلاحظ ان كلا من هؤلاء الناشرين بدأ منذ سنوات برأسمال الف ليرة فقط ! »

ولو اورد الكاتب هذا التعليق في معرض التدليل على تقدير جهود هؤلاء الناشرين والاعجاب بنشاطهم الذي يستحق ان يكافأ ، لما كان لنا من كلام .. اما ان يقوله بعد تلك المقدمة ، ففيه كل سوء النية ، لانه لا يستطيع ان يوحي الا بأن الناشرين المذكورين (وهم بالاضافة الى دار الآداب دار العلم للملايين ودار نزار قباني) قد جنوا « ملايينهم » من استغلال انتاج الادباء وسرقة ثمراتهم الادبية ...

ونحن نتحدى الكاتب ، وأقول هذا باسمي واسماء زملائي في الدارين المذكورتين ، ان يورد لنا اسم اديب واحد لم يتقاض كامل حقوقه المتفق عليها بموجب عقد من دور النشر الثلاث هذه ! اما قوله « منذ سنوات » فهو عبارة فضفاضة توحي بقصر المدة . والحقيقة ان دار العلم للملايين قد اسست منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وان دار الآداب قد بدأت النشر مع نزار قباني منذ اكثر من خمسة عشر عاما .. افلا يحق لهؤلاء بعد ان افنوا شبابهم في هذا العمل ان يفكروا بتجميع جهودهم من أجل مستقبل اولادهم ؟

ثم ان اخواننا ادباء مصر ، ولا سيما الشبان منهم ، يعرفون ان دارنا كثيرا ما تقدم على التضحيات حين تنشر بعض الكتب المصرية وغيرها من الدواوين الشعرية والمجاميع القصصية التي تمضي سنوات قبل استرداد نفقاتها بله تحقيق ارباح . ولئن كانت « اولاد حارتنا » قد نجحت وتقاضى عنها مؤلفها مبلغا محترما ، فان كثيرا من الكتب المصرية (وغير المصرية) لم تحقق اي ربح ، ومع ذلك تقاضى عنها مؤلفوها مبالغ مقطوعة مرضية !

ومن المؤسف ، بالمناسبة ، ان يكرر الكاتب في مقاله ما يعني ان الناشرين اللبنانيين يعيشون على نشر مؤلفات المصريين .. ففضلا عن ان هذا مبالغ به الى درجة بعيدة ، فانه يحمل روح التمنين البغيضة ، ويتناسى ان المؤلفين المصريين لا يقدمون كتبهم مجانا ...

ونقطة اخرى في حديث الكاتب توضح نزعته العدوانية هي قوله : « اما الامكانيات ، ففي أطار الحرية الاقتصادية في لبنان .. فان الثقافة باعتبارها سلعة تجارية مثلها مثل اي شيء ... » هكذا اذن : الثقافة في لبنان سلعة تجارية ! يقولها صاحبنا بكل بساطة ، ومن غير تحفظ ، ومن غير حس بالمسؤولية ! هل يعتقد سيادته حقا ان « جميع » ممثلي الثقافة في لبنان تجار؟ أليس فيهم اصحاب رسالة في خدمة الثقافة العربية ، يضحون من أجلها بالكثير ويصرون على المضي في التضحية؟

اننا لا ننكر بالطبع ان هناك « لصوص نشر » في لبنان كما يقول الكاتب ، وقد شجبنا دائما هذه اللصوصية ، وطالب اتحاد الناشرين بانزال العقوبة الصارمة بهم .. ولكن اللصوص موجودون في كل قطاع ، وفي كل مكان ، ولا يكفي ذلك لاخذ الشرفاء بجريرتهم .. وغير صحيح على الاطلاق قول الكاتب ان ليس في لبنان قوانين تحمي النشر وحقوق الناشرين ، فقد استطاع عدد غير قليل من الناشرين الذين اعتدي عليهم ان يستصدروا احكاما بمعاقبة المعتدين وملاحقتهم واجبارهم على دفع تعويضات لهم .. ولذلك فمن العار على الكاتب ان يقول عن لبنان انه « غابة بدائية رأسمالية بكل معنى القول دون اي رقيب اوحسيب ».

ومن ابرز دلائل الافتئات وسوء النية لدى الكاتب انه ، في معرض حديثه عن « لصوص النشر » ، ضرب مثلا يقول « لقد سرقوا قاموس « المورد » لمحمد المعلم وطبعوه بالاوفست .. ولم يستطع المعلم ان يحصل على حقه » .

ان قاموس « المورد » هو من تأليف الاستاذ منير البعلبكي ، وهو من منشورات دار العلم للملايين ، ولاعلاقة للاستاذ محمد المعلم به على الاطلاق ! ولكن ماهي الطريقة التي تمكن الكاتب من استعداء المصريين على اللبنانيين؟ انها اختلاق اكذوبة مخجلة !

وهذه الروح الاستعدائية تتجلى كذلك في كلامه الذي يتحدث عن « الصحف اللبنانية التي تعرض في صدر اكشاك الصحف في مصر وغير مصر (...) بينما الصحف المصرية سنجدها بعد بحث طويل كمن يبحث عن ابرة في كومة من القش ، مختفية منزوية وراء ركام الصحف اللبنانية والعالمية » .

وهذا كلام غير صحيح على الاطلاق ، فالصحف والمجلات المصرية معروضة بشكل واضح مع سائر الصحف ، ويقبل عليها اللبنانيون اقبالا طيبا .. ولكن الكاتب يختلق هذه الحكاية ليخبط كفا على كف ، وليتساءل « هل هي مؤامرة على الصحف المصرية ؟ ولماذا تصل الجريدة اليومية متأخرة يوما ويومين عن موعد صدورها ؟ ولماذا تصل المجلات متأخرة ايضا ؟ ولماذا يخفي الباعة والموزعون اللبنانيون تلك الصحف ؟ » .

اية مؤامرة هذه ؟ ولماذا المؤامرة ؟ اننا نقرأ «الاهرام» في بيروت يوم صدورها في القاهرة ، وكذلك سائر الصحف

والمجلات المصرية ، دون ما تأخير على الاطلاق ، بل التأخير هو في توزيع الصحف اللبنانية في القاهرة ، ومع ذلك ، فلم يخطر ببال احد ان تكون ثمة « مؤامرة » على الصحف اللبنانيـة !

انني أشعر اني قد اوليت هذا المقال اكثر مما ينبغي، واكثر مما يستحق ، لاني على ثقة كبيرة بان هـذه الآراء القائمة على وقائع مغلوطة لا يتبناها في مصر الشقيقـة الا قليلون نادرون .. ومع ذلك ، فقد اردت ان استفيض في الحديث عنها لاؤكد انهـا ، بالرغم من كـل شـيء ، تؤذينا ، نحن الذيـن نعمل لمزيد من توثيق الرابطة العربية، ولكنها اشد ايذاء للشقيقة الكبرى مصر !

٣ . حـادث عائلي ...

حين عدت الى المنزل في الاسبوع الثاني من الشهر الماضي ، بعد غياب بضعة ايام في القاهرة حيث حضـرت المكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيـا ، استقبلتني عنـد الباب ابنتي الثانية « رنا » (١) ، فصاحت ابتهاجا بمقدمي وقالت وهي تعانقني :

ـ تغيب عنا كثيرا في هذه الايام يا بابا . اننـا نشتاق اليك !

فضممتها الى صدري وقبلتها بشغف ، ثم تركـت حقيبة السفر في المدخل واتجهت الى غرفة الجلوس يحيط بي سائر افراد الاسرة الصغيرة ، بعد ان اطفأنا ضـوء المدخـل .

وبعد دقائق قلت لرنا :

ـ فنجان قهوة يا حبيبتي ! اشتقت الى قهوتك !

قالت رنا :

ـ تكرم ! على عيني يا بابا !

وخرجت راكضة باتجاه المطبخ الواقع الى يميـن المدخل . وآنذاك سمعنا ضجة عظيمة لتحطم زجاج، فهرعنا مذعورين الى المدخل فاذا هو مظلم . وحين اضأنا النور، كانت رنا تئن من الالم ، وهي واضعة يدها على خصرها . ثم رفعت يدها فاذا خصرها مضرج بالدم ..

وكاد يغمى على عايدة ، وكانت مصابة بالانفلونـزا ، وهي ترى دم رنا على ثيابها وتسمع صراخ اختها واخيهـا وبكاءهما . ولكنها تماسكت واتتني بغطاء السرير الابيض الذي طلبته وانا احثها الى الاسراع ، فربطته حـول قامة ابنتي برباطة جأش لا ادري من اين أوتيتها ، وادركت بلمحة بصر ان رنا لا بد ان تكون قد تعثرت بحقيبتي في ظـلام المدخل الذي لم تضئه ، فسقطت على باب المطبخ الزجاجي الذي تلقته بيديها حماية لوجهها بدافع غـريزي ، واذ ذاك انقصف جسمها على الحاجز الخشبي للباب ودخل خنجر من الزجاج المحطم فوق خاصرتها اليمنى .

حملتها بمساعدة اختها رائدة الى المصعد، واستوقفت سيارة كانت مارة لتوها ، فنقلناها الى المستشفى حيـث اجريت لها عملية صغيرة . وبعد ان اخذت لها الصـور الشعاعية اخبرني الطبيب ان معجزة قد تمت حين حدثت الطعنة بين رئتها اليمنى وكبدها واحد امعائها من غيـر ان تصيب أيا منها ..

حمدت الله وانا ارتجف وتلفت الى عايدة ، وكنـت قد منعتها من مرافقتنا الى المستشفى لمرضها ، فطمأنتها الى ان الله وقى ابنتنا شرما قضى ، وقدر ولطف، ورجوتها أن تتشجع وتصبر حين سمعت صوت نشيجها فـي التلفون .

قضت رنا اربعة ايام في المستشفى التأم فيها جرحها واستعادت نشاطها ، ونصحها الطبيب بألا تلزم الفراش، بل اوصاها بان تمشي وتتحرك وتخرج لتسترد كـل طاقتها الجسمية .

وحين عدنا بها الى البيت ، توقفت لحظة في المدخل، ثم نظرت الى الزجاج المحطم وقالت :

ـ يجب ان نغيّره يا بابا بسرعة .

قلت لهـا :

ـ استدعيت الزجّاج منذ الصباح ، وسيأتـي بعد قليـل .

وابتسمت رنا وقالت :

ـ اما الحقيبة ، فقد اختفت !

وقالت عايدة وهي تقرعني بنظراتها :

ـ لعن الله الحقائب والسفر !

ودخلت الى غرفتي وقد أحسست تعب الايام الاربعة يتجمع كله في جسمي تلك اللحظة . وتمددت على سريري وانا لا انفك احمد الله وأتنفس الصعداء .

ولا بد ان سنة من النوم قد أخذتني . فقد فتحت عيني حين أحسست يدا على كتفي ، فاذا هي رنا واقفة امام السرير وبيدها فنجان قهوة ، وحولها افراد العائلـة يبتسمون .

قالت رنا :

ـ المعذرة يا بابا . لم أعمل لك فنجان القهوة الذي طلبته مني ذلك اليوم . هذا هو . اشربه الآن هنيئا .

استقمت في السرير ، وانحنيت على مهل ، فطوقت قامة رنا ، وقبلت ، فوق القميص ، موقع الجرح من خاصرتها وانا أبكي .

سهيل ادريس

(١) وهي في الرابعة عشرة